الفصل الثانى
أحمد شوقى شاعر الوطنية

إن الظروف التى أحاطت بشوقى منذ بداية حياته جعلته يعيش فى بوتقة الأحداث، وجعلت عبقريته الشعرية تقترن بشعوره الوطنى ، فعندما نشأ وترعرع كانت مصر يتنازعها ثلاث سلطات أحدهم سلطة الاحتلال البريطانى، والثانية سلطة الخديو والأخيرة سلطة السيادة العثمانية، ولما كان شوقى يعادى الإنجليز ويمقت الاحتلال الذى عصف باستقلال بلاده فقد وقف بجانب الخديوى الذى كان فى بداية عهده يناوئ الاحتلال، ويساند الزعيم الوطنى مصطفى كامل فى مواقفه ضد الإنجليز، وكان معجبا بدوره الوطنى، كما وقف بجانب السيادة العثمانية حيث رأى فى الخلافة الإسلامية رمزا للوحدة بين المسلمين، وكان اتجاه شوقى فى العديد من الأحيان متمشيا مع اتجاه مصطفى كامل والحزب الوطنى ولما قامت الحرب العالمية الأولى وَأُعْلِنَتْ الحماية البريطانية على مصر انفصل عن الخديوى بعد عزله، وتحرر من المنصب الحكومى، فزادته الحرية قوة وتحليقا فى سماء الشعر مما أدى إلى استهدافه لاضطهاد السلطات البريطانية، ولما تحرك الشعب وقامت ثورة ١٩١٩ للمطالبة بجلاء القوات البريطانية لم يكن شوقى مقيما فى مصر وقتها حيث كان منفيا فى أسبانيا حتى أواخر ١٩٢٠، ولما عاد إلى مصر مجد الثورة وانفعل بها كما تعرض لتصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ وما ترتب عليه من وضع دستور ١٩٢٣ وإقامة حياة نيابية ، وبلغ شعره الوطنى ذروته وتغنى بالوطنية، وكان للحوادث الكبرى التى وقعت فى مصر صداها فى شعره الوطنى.

ومن أبرز قصائد شوقى الوطنية نذكر قصيدته فى ذكرى دنشواى ووصفه المؤثر لتلك المأساة فقال:

يا دنشواى على رباك سـلام ذهبـت بأنس ربوعـك الأيام
شهداء حكمك فى البلاد تفرقوا هيهـات للشمل الشتيت نظـام
مرت عليهم فى اللحود أهلة ومضى عليهـم فى القيود العام
كيف الأرامل فيك بعد رجالها وبـأى حال أصبـح الأيتام؟
عشرون بيتا أقفرت وانتابهـا بعد البشاشة وحشة وظـلام
ياليت شعرى فى البروج حمائم أم فى البروج منية وحمـام؟
(نيرون) لو أدركت عهد (كرومر) لعـرفت كيف تنفذ الأحكـام؟

******

نوحى حمائم دنشواى وروعى شعبا بوادى النيل ليس ينـام
إن نامت الأحياء حال بينـه سحرا وبين فراشه الأحـلام
متوجع يتمثل اليوم الـذى ضجت لشدة هوله الأقـدام
السوط يعمل والمشانق أربـع متوحدات والجنـود قيـام
والمستشار إلى الفظائع ناظـر تدمى جلود حوله وعظـام
فى كل ناحية وكل محلـة جزعا من الملأ الأسيـف زحام
وعلى وجو الثاكلين كآبـة وعلى وجوه الثاكـلات رغـام

ولما توفى مصطفى كامل سنة ١٩٠٨ رثاه شوقى بقصيدته الخالدة التى ترجم فيها عن شعوره بالحزن والألم بآيات بينات تجلت فيها حكمة الشعر وقوة الوطنية وروعة البيان، حيث قال:

المشرقان عليك ينتحبان قاصيهما فى مأتم والدانى
يا خادم الإسلام أجررر مجاهد فى الله من خلد ومن رضوان
لما نعيت إلى الحجاز مشى الأسى فى الزائرين وروع الحرمان
السكة الكبرى حيال رباهما منكوسة الأعلام والقضبان
لم تألها عند الشدائد خدمة فى الله والمختار والسلطان
يا ليت مكة والمدينة فازتا فى المحفلين بصوتك الرنان
ليرى الأواخر يوم ذاك ويسمعوا ما غاب من قس ومن سحبان(١)
جار التراب وأنت أكرم راحل ماذا لقيت من الوجود الفانى؟

وقال يشيد بأخلاق الفقيد:

إن كان للأخلاق ركن قائم فى هذه الدنيا فأنت البانى
بالله فتش عن فؤادك فى الثرى هل فيه آمال وفيه أمانى
وجدانك الحى المقيم على المدى ولرب حى ميت الوجدان

وقال مخاطبا مصطفى كامل:

يا طاهر الغدوات والروحات والـ خطرات والإسرار والإعلان
هل قام قبلك فى المدائن فاتح غاز بغير مهند وسنان؟
يدعو إلى العلم الشريف وعنده أن العلوم دعائم العمران

وقال فى وصف جنازة الزعيم مصطفى كامل:

لفوك فى علم البلاد منكسا جزع الهلال على فتى الفتيان
ما أحمر من خجل ولا من ريبة لكنما يبكى بدمع قانى
يزجون نعشك فى السناء وفى السنا فكأنما فى نعشك القمران
وكأنه نعش (الحسين) " بكربلا" يختال بين بكى وبين حنان

---

(١) قس وسحبان خطيبان من أبلغ الخطباء فى العصر الجاهلى.

فـــى ذمة الله الكريم وبـــــــره ... ما ضم من عرف ومن إحســـان
ومشـــى جلال الموت وهو حقيقة ... وجلالك المصدوق يلتقيـــــان
شقت لمنظرك الجيوب عقائـــل ... وبكتك بالدمع والهتون غوانـــى
والخـــلق حولك خاشعون كعهدهم ... إذ ينصتون لخطبة وبيـــــان
يتســـاءلون بأى قلب ترتقـــــى ... بعد المنابر أم بأى لســـــان
فـــلو إن أوطانا تصور هيكـــلا ... دفنوك بين جوانح الأوطـــــان
أو كان يحمل فى الجوارح ميـــت ... حملوك فى الأسماع والأجفـــان
أو صيغ من غمر الفضائل والعلى ... كفن لبست أحاسن الاكفـــــان
أو كان للذكر الحكيم بقيـــــــة ... لم تات بعد رثيت فى القـــرآن

وقال يصفه فى مرضه الأخير:

ولقـــد نظرتك والردى بك محدق ... والـــداء ملء معالم الجثمـــان
يبغـــى ويطغـــى والطبيب مضلل ... قنط وساعات الرحيل دوائـــى
ونـــواظر العـــواد عنـــك أمالهـــا ... دمع عالج كتمة وتعانـــــى
تملـــى وتكتب والمشاغـــل جمـــة ... ويداك فى القرطاس ترتجفـــان
فهششـــت لى حتى كأنـــك عائدى ... وأنا الذى هد السقام كيانـــــى
ورأيت كيف تموت آســـاد الشرى ... وعرفت كيف مصارع الشجعان
ووجـــدت فى ذاك الخيال عزائما ... ما للمنون بدكهـــن يـــــــدان

****

وجعلت تسألنى الرثاء فهاكـــــه ... من أدمعى وسرائرى وجنانى
لولا مغالبة الشجون لخاطـــرى ... لنظمت فيك يتيمة الازمـــان
وأنا الذى أرثى الشموس إذا هوت ... فتعود سيرتها مـــــن الدوران

****

قد كنت تهتف فى الورى بقصائدى وتجـــــــل فوق النيرات مكانى
ماذا دهانى يوم بنت فعقنـــــــى فيك القريض وخاننى إمكانـــــــى
هون عليك فلا شمات بميـــــت إن المنية غاية الانســـــــــان
من للحسود بميتة بلغتـــــــها عزت على كسرى أنو شـــــروان
عوفيت من حرب الحياة وحربهـا فهل استرحت أم استراح الشـــانى

وقال فى ختام القصيدة يذكر فضل مصطفى على مصر:

يا صب مصـــر ويا شهيد غرامها هـــذا ثرى مصر فنـــم بأمـــــان
اخـــلع على مصر شبابك غاليـــا واليـــس شباب الحور والولـــدان
فلعـــل مصرا من شبابك ترتـــدى مجـــدا تتيه به على البلـــــدان
فـــلو أن بالهـــرمين من عزماتـــه بعـــض المضاء تحرك الهرمـــان
علمـــت شبان المدائـــن والقـــرى كيـــف الحيـــاة تكون فى الشبـــان
مصر الأسيفـــة ريفها وصعيـــدها قبـــر أبر على عظامـــك حانـــى
أقسمـــت أنك فى التراب طهـــارة مـــلك يهـــاب سؤاله الملكـــان

وكان شوقى لا يتوقف عن ذكر مصطفى كامل بعد وفاته:

فمن ذلك قصيدته التى نظمها سنة ١٩٢٥ لمناسبة ذكراه بعنوان (شهيد الحق) تناول فيها ما أصاب البلاد من انقسام وتضارب وتناحر، ثم انتقل من ذلك إلى ذكرى مصطفى كامل، فوفاه حقه من التكريم، **قال فى مطلعها:**

إلام الخـــلف بينكمو إلامـــــا؟ وهذه الضجـــة الكبرى علاما؟
وفيم يكيـــد بعضكـــــم لبعض وتبـــدون العـــداوة والخصاما؟
واين الفوز؟ لا مصـــر استقرت على حال ولا الســـودان داما

إلى أن قال:

ولينا الأمر حزبا بعد حـــــــزب ... فلم نك مصلحين ولا كرامـــــــا
جعلنا الحكم تولية وعـــــــزلا ... ولم نعد الجزاء والانتقامـــــــا
وسسنا الأمر حين خلا إلينـــــا ... بأهواء النفوس فما استقامـــــــا

وقال ذاكرا محاسن الزعيم:

شهيد الحق قم تره يتيمـــــــــا ... بأرض ضيعـت فيها اليتامـى
أقام على الشفاه بها غريبـــــــا ... ومر على القلـوب فما أقامـا
سقمت فلم تبت نفس بخيـــــــر ... كان بمهجـة الوطن السقامـــا
ولم أر مثل نعشـــــــك إذا تهادى ... فغطى الأرض وانتظم الأنـاما
تحمل همة وأقل دينـــــــــــا ... وضـم مروءة وحوى زمـــاما
وما أنساك فى العشرين لمـــــا ... طلعت حيالهـا قمرا تمامـــــا
يشار إليك فى النادى وترمـــــى ... بعينى من أحـب ومن تعامـــى
إذا جئت المنابر كنت (قســـــا) ... إذا هو فى عكاظ علا السنامـــا
وأنت ألذ للحق اهتـــــــزازا ... وألطـف حين تنطقـه ابتسامـــا
وتحمل من أديم الحق وجهـــــا ... صراحـا ليس يتخـذ اللثامـــا

أتـذكر قبـل هـذا الجيل جيلا ... سهـــرنا عن معلمهم ونامـا؟
مهـار الحـق بغضنـا إليهـم ... شكيـــم القيصرية واللجامـا
لـــواؤك كان يستقيـم بجـام ... وكان الشعـر بين يدى جـاما
مـن الوطنيـة استبقـوا رحيقا ... فضضنا عن معتقهـا الختامـا

غرسنا كرمها فزكا أصولا بكل قراءة وزكاء مداما

جمعتهمو على نبرات صوت كنفخ الصور حركت الرجاما[١]

****

لك الخطب التى غص الأعادى بسورتها وساغت للندامى[٢]

فكانت فى مرارتها زئيرا وكانت فى حلاوتها بغاما[٣]

****

بك الوطنية اعتدلت وكانت حديثا من خرافة أو مناما

بنيت قضية الأوطان منها وصيرت (الجلاء) لها دعاما

وله قصيدة فى ذكرى مصطفى كامل سنة ١٩٢٦ قال فيها:

لم يمت من له أثر وحياة من السير

ادعه غائبا وإن بعدت غاية السفر

آيب الفضل كلما آبت الشمس والقمر

رب نور متمم قد أتانا من الحفر

إنما الميت من مشى ميت الخبر والخبر

من إذا عاش لم يفد وإذا مات لم يضر

ليس فى الجاه والغنى منه ظل ولا ثمر

قبح العز فى القصور إذا ذلت القصر

****

أعوز الحق ذائد وإلى (مصطفى) افتقر

---

(١)بمعنى القبور

(٢) بمعنى الاصدقاء

(٣) صوت الظبى

وتمـنت حيـاضـة هبـة الصـارم الذكر
الذى ينفـذ المـدى والـذى يركـب الخطـر
أيهـا القوم عـظمـوا واضـع الأس والحجـر
أذكـروا الخطبة التـى هى من آية الكبـر
لم يـر النـاس قبلهـا منبـرا تحـت محتضـر
لسـت أنسـى لواءه وهـو يمشى إلى الظفر
حشـر النـاس تحته زمـرا إثرهـا زمـر
وترى الحـق حـوله لا ترى البيـض والسمر
كلمـا راح أو غـدا نفخ الروح فى الصـور

*****

يا أخـا النفس فى الصبـا لـذة الـروح فى الصغـر
وخـليلا ذخرتـه لم يقـوم بمدخـر
حـل بينـى وبينـه فـى فجـاءاته القـدر
كيف أجـزى مـودة لم يشـب صفوها كـدر
غير دمـع أقولـه قـل فـى الشـأن أو كثـر
وفـؤاد معلـل بالخيـالات والذكـر
لم ينـم عنك ساعـة فى الأحـاديـث والسمـر
قم تر القـوم كتلـة مثـل ملـمومـة الصخـر
جـددوا ألفـة الهـوى والإخـاء الذى شطـر
ليس للخـلف بينهـم أو لأسبـابـه أثـر
ألفهـم روائـح غـاديـات من الغيـر
وصحوا من منـوم وأفاقـوا من الخـدر

أقبلوا نحو حقهم ... ما لهم غيره وطر
جعلوه خليفة ... شرعوا دونها الإبر
وتواصوا بخطة ... وتداعوا لمؤتمر
وقصارى أولى النهى ... يتلاقون فى الفكر
آذنونا بموقف ... من جلال ومن خطر
نسمع الليث عنده ... دون آجامه زأر
قل لهم فى نديهم ... مصر بالباب تنتظر

إن حب شوقى للوطن يتمشى مع معظم قصائده، التى نشرها فى ديوانه، وله فوق ذلك أبيات بلغ فيها حبه للوطن درجة التقديس والعبادة مما يجعلها تسير مسرى الحكم والأمثال، على تعاقب السنين والأجيال، وتبعث فى نفوس المواطنين روح الإخلاص العميق للوطن والتفانى فى خدمته.

كقوله سنة ١٩٢٠ بعد عودته إلى مصر من منفاه:

ويا وطنى لقيتك بعد يأس ... كأنى قد لقيت بك الشبابا
ولو أنى دعيت لكنت دينى ... عليه اقابل الحتم المجابا[1]
أدير إليك قبل البيت وجهى ... إذا فهت الشهادة والمتابا

ففى هذه الأبيات يربط شوقى الوطن بالدين ويدير وجهه إلى الوطن قبل الكعبة عندما يلقى ربه.

وقوله سنة ١٩٢٤ مخاطبا الشباب:

وجه الكنانة ليس يغضب ربكم ... ان تجعلوه كوجهه معبودا
ولوا إليه فى الدروس وجوهكم ... وإذا فرغتم . فاعبدوه هجودا

---

(١) بمعنى الموت

إن الذى قسم البلاد حبا كمو بلدا كأوطان النجوم مجيـــدا
قد كان – والدنيا لحود كلها للعبقـرية والفنون مهـــودا

وقوله وهو فى منفاه:

وطنى لو شغلت بالخلد عنه نازعتنى إليه فى الخلد نفسى

أى أنه لو شغل عن الوطن بجنة الخلد وسكنها، لبقيت نفسه تهفو إلى الوطن وتنزع إليه.

وقوله فى قصيدته سنة ١٩٢٦ فى نكبة دمشق من الاستعمار الفرنسى:

وللأوطان فى دم كل حر يد سلفت ودين مستحق
وللحـرية الحمراء باب بكل يد مضرجة تـدق

وقوله:

لو تلوماها أليست حرة وهوى الأوطان للأحرار دين

وقال سنة ١٩٠٤:

أحبك مصر من أعماق قلبى وحبـك فى صميم القلب نـام

وبلغ حبه لمصر أن جعلها كعبة أشعاره قال:

وإنـى لغريـد هذا البطاح تغـذى جناهـا وسلسالهـا
ترى مصر كعبة أشعاره وكـل معلقـة قالهـا

وعندما قامت ثورة ١٩١٩ التى أعادت للمجتمع المصرى وجهه الحقيقى **قال فى قصيدة له بعنوان (الحرية الحمراء) يمجد فيها ثورة ١٩١٩:**

يوم البطـولة لو شهدت نهاره لنظمت للأجيال ما لم ينظم
غبنـت حقيقته وفات جمالهـا باع الخيال العبقرى الملهم
لولا عوادى النفى أو عقبانـه والنفى حال من عذاب جهنم

لجمعت ألوان الحوادث صورة مثلت فيها صورة المستسلم
وحكيت فيها النيل كاظم غيظة وحكيته متغيظا لم يكظـــم
دعت البلاد إلى الغمار فغامرت وطنية بمثقف ومعلـــــم
ثارت على الحامى العتيد وأقسمت بسواه جل جلاله لا تحتمى

*****

يوم النضال كستك لون جمالها حرية صبغث أديمك بالدم

تعلق شوقى بأهمية جلاء الانجليز عن مصر

ويبدو فى شعر شوقى مبلغ تعلقه بالجلاء، وإيمانه به وهذا ولا ريب من فيض الوطنية التى يستلهم منها شعره.

قال فى سنة ١٩٢٤ يخاطب الشباب الذين أفرج عنهم بعد الحكم عليهم فى قضية المؤامرة الكبرى:

لمـــا بنى الله القضية منهمو قامت على الحق المبين عمودا
جـــادوا بأيام الشباب واشكوا يتجـاوزون إلى الحياة الجواد
طلبوا (الجلاء) على الجهاد مثوبة لم يطلبوا أجر الجهـاد زهيدا
والله : مـــا دون الجلاء ويومه يوم تسميـه الكنانـة عيـــدا
وجـد السجيـــن يدا تحطم قيده من ذا يحطـم للبـلاد قيـودا؟

وقال شوقى وهو يدعو إلى الجد والتضحية:

والمرء ليس بصادق فى قوله حتـى يؤيـد قولـه بفعاله
والشعب إن رام الحياة كبيرة خاض الغمار دما إلى آماله

وعندما نجح الإنجليز فى بث روح الفتنة بين المسلمين والأقباط بعد اغتيال بطرس غالى رئيس النظار قال شوقى فى قصيدة له فى رثاء بطرس غالى سنة ١٩١٠:

الحق أبلج كالصباح لناظـــــــــر لو ان قوما حكموا الأحلامـــــــا
أعهدتنا والقبط إلا أمـــــــــــة للأرض واحدة تروم مرامـــــــا
نعلى تعاليم المسيح لأجلهـــــــم ويوقرون لأجـلنا الإسلامـــــــا
الديـــن للديان جـل جلالـــــــه لو شاء ربك وحد الأقوامـــــــا
ياقوم بان الرشد فاقضوا ما جـرى وخذوا الحقيقة وانبذوا الأوهامـــا
هذى ربوعكـم وتـلك ربوعنـــا متقـــابليـن نعـالج الأيامـــــا
هذه قبـوركـم وتلك قبورنـــــا متجـاورين جمـاجما وعظامـــا
فبحرمة الموتى وواجب حقهـــم عيشوا كما يقضى الجوار كرامـــا

وقال شوقى فى قصيدة أخرى له فى هذا المعنى :

تعالوا عسى نطوى الجفاء وعهده وننبـذ أسبـاب الشقاق نواحيـــا
ألم تـك (مصر) مهدنا ثم لحدنا وبينهمـــا كانت لكـل مغانيـــا
الم تك من قبل (المسيح بن مريم) و(موسى) و (طه) تبعد النيل جاريا
فهـلا تساقينا على حبـه الهوى وهـلا فديناه ضفافـا ووادیـــا
وما زال منكـم أهل ود ورحمة وفى المسلمين الخير ما زال باقيـا
فلايئنكم عن ذمة قتل (بطرس) فقدما عرفنا القتل فى الناس فاشيـا

كما قال مخاطبا الشباب فى قصيدة يستحثهم فيها على العلم والجهاد من أجل مصر:

يا شبـاب الغـد وأبناء الفدى لكـــم أكرم وأعزز بالفـداء
هل يمـد الله لى العيش عسى أن اراكـم فى الفريق السعداء
وأرى تاجـكم فـوق السمـا وارى عـرشكـم فـوق ذكاء
من رآكم قال مصر استرجعت عزها فى عهد (خوفو) و (مناء)
أمـة للخـلد ما تبنـــى إذا ما بنـــى الناس جميعا للعفاء

إنمـــا مصر إليكـــم وبكم وحقـوق البر أولى بالقضاء
عصـــركم حـــر ومستقبلكـــم فى يميـــن الله خير الأمناء
لا تقولـــوا حطنـــا الدهر فما هـــو إلا من خيـــال الشعـــراء
هل علمتهـــم أمة فى جهـــلها ظهرت فى المجد حسناء الرداء
باطـــن الأمة من ظاهرهـــا إنمـــا السائل من لون الإناء
فخذوا العلـــم على أعلامـــه واطلبوا الحكمة عند الحكماء
وأقرأوا تاريخكم واحتفظـــوا بفصيـــح جاءكم من فصحاء
أنزل الله علـــى ألسنهـــــم وحيه فى أعصر الوحى الوضاء
واحكمـــوا الدنيا بسلطان فما خلقـــت نضـــرتها للضعفـــاء
واطلبوا المجد على الأرض فإن هى ضاقت فاطلبوه فى السماء!

وقال شوقى عن الدستور والحياة الدستورية السليمة

شر الحكومة أن يساس بواحد فى المـــلك أقوام عـــداد رمـــاله

وقال فى قصيدة له عن (الأزهر):

وتفيأوا الدستور تحت ظلالـــــــه كنفا أهش من الرياض وأنضرا
لا تجعلوه هوى وخلفا بينكـــــــم ومجـــر دنيا للنفـــوس ومتجرا
اليوم صرحت الأمور فأظهـــرت ما كان من خدع السياسة مضمرا
قد كان وجه الرأى ان نبقى يـــدا ونـــرى وراء جنودها انجلتـــرا
فإذا أتتنا بالصفوف كثيـــــرة جئنـــا بصف واحد لن يكســـرا

وقال من قصيدة له فى عيد الجهاد:

وبالدستور وهو لنا حيـــــــاة نـــــرى فيه السلامة والفلاحـــــا
أخذناه على المهج الغوالـــــــى ولم ناخذه نيلا مستماحـــــــــا

بنينا فيه من دمع رواقـــــــــا ومن دم كل نابتة جناحـــــــــا

وقال عن الحياة الدستورية السليمة:

إذا سلم الدستور هان الذى مضى وهان من الأحداث ما كان آتيا
الأكل ذنب لليالى لأجلـــــــه سدلنا عليه صفحنا والتناسيا

وقال فى قصيدة يدعو الشباب إلى إنكار الذات:

قالوا أتنظم للشباب تحيـــــــة تبقى على جيد الزمان قصيدا
قلت الشباب أتم عقد مآثـــــر من أن أزيدهمو الثناء عقودا
قبلت جهودهم البلاد وقبلـــت تاجا على هاماتهم معقـــودا
خرجوا فما مدوا خناجرهـم ولا منوا على أوطانهم مجهـودا
خفى الأساس عن العيون تواضعا من بعد ما رفع البناء مشيدا

أما عن حكم شوقى وعظاته فتنساب فى شعره الـذى يخاطـب بـه مواطنيه ويبصرهم بعبر التاريخ وعظات الحوادث، فيقول:

قال عن جلال الملوك وأنه إلى زوال ولا يبقى إلا جلال الخلود:

جلال الملك أيام وتمضـــى ولا يمضى جلال الخالدينـا

وقال عن الخلود للعمل الصالح:

من سر أن لا يموت فبا لعلى خلد الرجال وبالفعال النابه
ما مات من حاز الثرى آثاره واستولت الدنيا على آدابـه
قل للمدل بما له وبجاهـــه وبما يحل الناس من أنسابه
هذا الأديم يصد عن حضاره وينام ملء الجفن عن غيابه
إلا فتى يمشى عليه مجـددا ديباجتيه معمـرا لخرابـه

وقال عن أهمية العدل كأساس للملك:

والعدل فى الدولاب أس ثابت　　يفنى الزمان وينقذ الأجيـــالا

وعن فلسفة الحياة قال من قصيدته فى رثاء مصطفى كامل:

دقات قلب المرء قائلة له　　إن الحياة دقائق وثـــــوان

ومن قوله فى ذكرى كارنارفون مكتشف كنوز توت عنخ آمون:

فى الموت ما أعيا[1] وفى أسبابه　　كل امرئ رهن بطى كتابه

إن نام عنك فكل طب نافـــــع　　أو لم ينم فالطب من أذنابـــه

إلى أن قال منوها بفضل كارنارفون فى اكتشافاته الأثرية:

أفضى إلى ختم الزمان ففضه　　وحبا إلى التاريخ فى محرابه

وطوى القرون القهقرى حتى أتى　　فرعون بين طعامه وشرابـــه

ومن قوله فى العظة والاعتبار حين سقطت أدرنة وكانت من أمهات المدن الإسلامية فى مقدونية و غلبها البلغار سنة ١٩١٢:

يا أخت أندلس عليك سلام　　هوت الخلافة عنك والإســـلام

إلى أن قال يندد بسياسة الترك:

رفعوا على السيف البناء فلم يدم　　ما للبناء عـــلى السيوف دوام

أبقى الممالك ما المعارف اســـه　　والعدل فيه حـــائط ودعـــــام

إن الغـــرور إذا تملك أمـــــــة　　كالزهر يخفى الموت وهو زؤام

وحول غلظة الانجليز مع المصريين قال فى قصيدة أثناء انعقاد مؤتمر لوزان مشيرا إلى سوء معاملة الإنجليز مع مصر لأنها لم يكن لها من القوة ما تسترد به حقها:

---

(١) ما أعياه أى ما أعجز عن إدراك حقيقته

أتعلم أنهم صلفوا أو تاهـــــــو وصدوا الباب عنا موصدينـــــــا
ولو كنا نجر هناك سيفـــــــاً وجدنا عندهم عطفاً ولينـــــــا
سيقضى (كرزن) بالأمر عنـــــا وحاجات (الكنانة) ما قضينـــــا

وقال فى هذا المعنى:

يا طير والأمثال تضـــــــ رب للبيـــت الأمثـــل
دنيـاك من عاداتهـــــــا ألا تكـــــون لأعـــزل

وحول رأيه فى نظم الحكم، وأهمية أن تحكم الشعوب نفسها قال ينبه الملوك إلى قوة الشعوب ويدعوهم إلى النزول على حكمها:

إن ملكـت النفوس فابغ رضاها فلها ثورة وفيها مضـــــاء
يسكن الوحش للوثوب من الأسر فيكف الخلائـق العقـــلاء؟
يحســب الظالمون أن سيسـودو ن وأن لن يؤيـــد الضعفـــاء
والليالـــى جوائر مثلمـــا جـــا روا وللدهر مثلهم أهـــــواء

وقال يبشر بحكم الشعوب وزوال حكم الفرد:

زمان الفرد يا فرعون ولـــى ودالت دولة المتجبرينـــــا
وأصبحت الرعاة بكـل أرض على حكم الرعية نازلينـــــا

وقال يندد بالمستبدين:

المستبد يطاق فى ناووســـه لا تحت تاجيه وفوق وثابـــه[1]
والفرد يؤمن شره فى قبـــره كالسيف نام الشر خلف قرابـــه[2]

وقال فى هذا المعنى يخاطب توت عنخ آمون:

(١) الناووس ، القبر ، والوثاب : السرير
(٢) قراب السيف : غمدة

قسما بمن يحيى العظـــــام ... م ولا أزيـــدك من يميـــن
لو كان من سفر أيـــــا ... بك أمس أو فتـــح مبيـــن
لرأيت جيلا غيـــر جيلـــك ... بالجبابـــر لا يديـــــن
ورأيت محكومين قـــــد ... نصبوا وردوا الحاكميـــن
روح الزمـــان ونظمـــه ... وسبيـــله فى الآخريـــن
إن الزمـــان وأهلـــه ... فرغا من الفـــرد اللعيـــن
فإذا رأيت مشـايخـــا ... أو فتية لك ساجديـــن
لاق الـزمـان تجدهمـــو ... عن ركبـــه متخلفيـــن
هم فى الأواخـر مولـــدا ... وعقولهـــم فى الأوليـــن

وفى مسرحية (مصرع كليوباتره) تحدث على لسان (حابى) موضحا أن الشعب قد ينخدع فقال:

إسمع الشعب ديـــون ... كيف يوحـــون إليه
ملأ الجـــو هتافـــا ... بحياتـــى قاتليـــه
أثر البهتان فيـــه ... وانطلى الزور عليـــه
يا له من ببغـــاء ... عقله فى أذنيـــه

وقال سنة ١٩٢٦ حينما اجتمع المؤتمر الوطنى يوم ١٩ فبراير من تلك السنة وائتلفت فيه الأحزاب بعد توحيد الصفوف:

صرح عل الوادى المبارك ضاحى ... متظـاهر الأعـلام والأوضاح
ضـــافى الجلالة كالعتيق مفصل ... ساحات فضل فى رحاب سماح
وكأن رفرفـة رواق من ضحـى ... وكان حائطـه عمود صبـاح
الحـق خلف جناح استـذرى بـه ... ومراشد السلطان خلف جنـاح

هو هيكل الحرية القانـــــى له ما للهياكل من فدى وأضـــاح
يبنى كما تبنى الخنادق فى الوغى تحت النبال وصوبها السحـــاح
ينهار الاستبداد حول عراصـــه مثل انهيار الشرك حول (صلاح)
ويكب طاغوت الأمور لوجهـــه متحطم الأصناف والأشبـــاح

****

هو ما بنى الأعزال بالراحـات أو هو ما بنى الشهـــداء بالأرواح
أخذنه (مصر) بكل يوم قاتـــم ورد الكواكب أحمر الإصبـــاح
هبت سماحا بالحياة شبابهـــا والشيب بالأمارق غير شحـــاح
ومشت إلى الخيل الدوارع وانبرت للظافر الشاكى بغير ســـلاح
وقفات حق لم تقفها أمـــة إلا انثنت آمالها بنجـــاح
وإذا الشعوب بنوا حقيقة ملكهـــم جعلوا المآتم حائط الأفـــراح

إلى أن قال فى توحيد الصفوف:

بشرى إلى الوادى تهز نباتـــه هز الربيع مناكـــب الأدواح
تسرى ملمحة الحجول على الربـــى وتسيل غرتها بكل بطـــاح
التامت الأحزاب بعد تصـــدع وتصافت الأقلام بعد تـــلاح
سحبت على الأحقاد أذيال الهـوى ومشى على الضغن الوداد الماحـى
وجرت أحاديث العتاب كأنهـــا سمر على الأوتاد والأقـــداح
ترمى بطرفك فى المجامع لا ترى غير التعانق واشتبـــاك الراح

وقال فى سنة ١٩٢٠ من قصيدة له فى الاحتفال بإنشاء بنك مصر الذى بناه طلعت حرب يدعو شوقى إلى الاكتتاب فى رأس مال البنك وينوه بفضل المال فى نهضة الأمم فيقول:

قف بالممالك وانظر دولة المال واذكر رجالا أدالوها باجمال

إلى ان قال:

يا طالبا لمعالى الملك مجتهـــــــدا خذها من العلم أو خذها من المال
يالعلم والمال يبنى الناس ملكهـــــم لم يبن ملك على جهل وإقـــلال
سراة مصر عهدنا كم إذا بسطـــــت يد الدعاء سراعا غير بخـــــال
تبين الصدق من بين الأمور لكـــــم فامضوا إلى الماء لا تلووا علـى الآل
لا يذهب الدهر بين الترهات بكـــــم وبين زهر من الأحلام قتـــــال
هاتوا الرجال وهاتوا المال واحتشـدوا رأيا لرأى ومثقالا بمثقـــــال
هذا هو الحجر الدرى بينكمـــــــو فابنوا بناء قريش بيتها العالـــى
آمال مصر إليها عالما طمحـــــــت هل تبخلون على مصر بآمـــال
فابنوا على بركات الله واغتنمـــــوا ما هيأ الله من حظ وإقبـــــال

وقال فى قصيدة أخرى:

الملك بالمال والرجال لم يبن ملك بغير مال

وقال فى قصيدة له فى احتفال أقامته نقابة الصحفيين:

لكل زمان مضى آيـــــــــة وآية هذا الزمان الصحـــــــف
لسان البلاد ونبض العبـــــاد وكـــهف الحقوق وحرب الجنف[1]
تسير مسير الضحى فى البـــلاد إذا العلـــــم مزق فيها السدف
وتمشى تعلم فى أمـــــــــة كثيرة من لا يخط الألـــــــف

******

فيا فتية الصحف صبـــــرا إذا نبا الرزق فيها بكم واختلـــف

---

(١) بمعنى الظلم

فإن السعادة غير الظهـــــــور وغير الثراء وغير التـــــــرف
ولكنها فى نواحى الضميـــــــر إذا هو باللؤم لم يكتنـــــــف
ورموا النبوغ فمن نالـــــــه تلقى من الحظ أسنى التحـــــف
حمدنا بلاءكم فى النضـــــال وأمس حمدنا بلاء السلـــــف
ومن نسى الفضل للسابقيـــــن فما عرف الفضل فيما عـــــرف
أليس إليهم صلاح البنـــــاء إذا ما الأساس سما بالغـــــرف

وقال عن حنينه إلى الوطن عندما زاد حبه له وتعلقه به فى منفاه بالأندلس، وقد كان نفيه بأمر السلطة العسكرية البريطانية خلال الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٥ وبقى فى منفاه بعيدا عن الوطن نحو خمسة أعوام إلا قليلا، فازداد شعورا بلوعة الحزن على فراقه ، واستثار النفى الوطنية الكامنة فى نفسه، وأججت الغربة نارها، فانطلق يشدو بالحنين إلى الوطن.

وإلى جانب ذلك نظم قصيدة يعارض فيها الشاعر البحترى بقوله:

اختلاف النهار والليل ينســـــى أذكر لى الصبا وأيام انســـــى
وسلا (مصر) هل سلا القلب عنهـــا أو أسا جرحه الزمان المؤســـى
كلما مرت الليالى عليـــــه رق والعهد فى الليالى تقســـــى

إلى أن قال:

يا ابنة اليم[1] ما أيوك بخيـــــل ما له مولعا بمنع وحبـــــس
أحرام على بلابلـــــه الدو ح حلال للطير من كل جنـــس؟
كل دار أحق بالأهـــــل إلا فى خبيث من المذاهب رجـــس

(١) يقصد السفينة

نفسى مرجل وقلبى شـــــــراع بهما فى الدموع سيرى وأرســـى
واجعلى وجهك (الفنار) ومجـــرا ك يد (الثغر) بين (رمل) و (مكس)
وطنى لو شغلت بالخلد عنـــــه نازعتنى إليه فى الخلد نفســـــى
شهد الله لم يغب عن جفونـــــى شخصه ساعة ولم يخل حســـــى

إلى ان قال فى الحنين إلى مصر:

لكن (مصر) وإن أغضت على مقة[1] عين من الخلد بالكافور تسقينـــــا
على جوانبها رفت تمأمنـــــــا وحول حافاتها قامت رواقينـــــا
ملاعب مرحت فهيا مآربنـــــــا وأربع أنست فيها أمانينـــــــا
ومطلع لسعود من أواخرنـــــــا ومغرب لجدود من أوالينـــــــا
بنا فلم نخل من روح يراوحنـــــا من بر مصر وريحان يغادينـــا
كأم موسى على اسم الله تكلفنـــــا وباسمه ذهبت فى اليم تلقينـــــا

ومصر كالكرم ذى الاحسان فاكهة لحـــاضريـــن وأكواب لبادينـــا
يا سارى البرق يرمى عن جوانحنا بعد الهـــــدوء ويهمى عن مآقينا
لما ترقرق فى دمع السماء دمـــا هاج البكا فخضبنا الأرض باكينا

إلى أن قال يخاطب مواطنيه:

إلى الذين وجدنا ود غيرهـــــــم دنيا وودهمو الصافى هو الدينـــا
يا من نغار عليهم من ضمائرنـــــا ومن مصون هواهم فى تناجينـــا
ناب الحنين إليكم فى خواطرنـــــا فى النائبـــات فلم يأخذ بأيدينـــا

---

(١) بمعنى المحبة

إلى أن قال يشيد فى منفاه بعظمة مصر:

لم تنزل الشمس ميزانا ولا صعدت ... فى ملكها الضخم عرشا مثل وادينا
ألم تؤله على حافاتـــــه ورأت ... عليه آباءها الغر الميامينـــــا؟
وهذه الأرض من سهل ومن جبـل ... قبل (القياصر) دناها (فراعينـــا)
ولم يضع حجرا بأن على حجـــر ... فى الأرض إلا على آثار بانينـــا
كأن (أهرام) مصر حائط نهضـت ... به يد الدهر لا بنيان فانينـــا

إلى أن قال فى تحية مصر وتشوقه إليها من منفاه:

أرض الأبوة والميلاد طيبهـــا ... مر الصبا فى ذيول من تصابينـــا
كانت محجلة فيها مواقفنـــا ... غرا مسلسلة المجرى قوافينـــا
فآب من كرة الأيام لاعبنـــا ... وثاب من سنة الأحلام لاهينـــا
ولم ندع لليالى صافيا فدعـــت ... بأن نغص فقال الدهر آمينـــا
لو استطعنا لخضنا الجو صاعقـة ... والبر نار وغى والبحر غسلينـــا
سعيا إلى مصر نقضى حق ذاكرنا ... فيها إذا نسى الوافى وباكينـــا

وقال يذكر والدته بحلوان وقد توفيت قبيل عودته:

كنـــز (بحلوان) عند الله نطلبه ... خير الودائع من خير المؤدينا
لو غـــاب كل عزيز عنه غيبتنا ... لم يأته الشوق إلا من نواحينا
إذا حمـــلنا لمصر أوله شجنا ... لم ندر أى هوى الأمين شاجينا

وقال أيضا فى منفاه يهتف بمصر وساكنيها:

يا ساكنى مصر إنا لا نزال علـــى ... عهد الوفاء وإن غبنا مقيمينا
هلا بعثم لنا من ماء نيلكـــــم ... شيئا نبل به أحشاء صادينا
كل المناهل بعد النيل آسنـــــة ... ما أبعد النيل إلا عن أمانينا

وقد بعث شوقى بهذه الأبيات إلى صديقه وصنوه حافظ ابراهيم فأجابه حافظ بالأبيات الآتية:

عجبت للنيل يدرى أن بلبلـــــــه صـــــاد ويسقى ربا مصر ويسقينا
تاالله ما طاب للأصحـــــاب مورده ولا ارتضوا بعدكم من عيشهم لينـــا
لم تنأ عنه وإن فارقت شاطئـــــه وقد نأينا وإن كنا مقيمينـــــــــــا

لقد ملك حب مصر مشاعر شوقى فكان يتغنى بعظمتها ويشيد بمفاخرها، وتفيض قصائده بهذا المعنى السامى. قال فى تحية مصر والنيل والهرم من قصيدة نظمها سنة ١٩١٤ يحيى بها الطائرين العثمانيين سالم وكمال حين قدومهما إلى مصر على متن طائرتهما عن طريق العريش وسيناء:

يا راكب الريح حى النيل والهرمـــــــا وعظم السفح من سيناء والحرمـــا
وقف على أثر مر الزمان بـــــــــه فكان أثبت من أطواده قممـــــــــا
واخفض جناحك فى الأرض التى حملت موسى رضيعا وعيسى الطهر منفطما
وأخرجت حكمة الأجيال خالـــــــدة وبينت للعباد السيف والقلمـــــــا
هذا فضاء تلم الريح خاشعـــــــــة به ويمشى عليه الدهر محتشمـــــا

وقال من قصيدة له فى أبى الهول:

أبا الهول طال عليك العصـــر ... وبلغت فى الارض أقصى العمر
فيالدة الدهر لا الدهر شـــب ... ولا أنت جاوزت حد الصغـــر
إلام ركوبك متن الرمـــــا ... ل لطى الأصيل وجوب السحـــر
تسافر متنقلا فى القـــــرو ... ن فأيان تلقى غبار السفـــــر؟
أبينك عهد وبين الجبـــــا ... ل تزولان فى الموعد المنتظـــر
أبا الهول أنت نديم الزمـــا ... ن نجى الأوان سمير العصـــر
ظليل الحضارة فى الأوليـــــ ... ن رفيع البناء جليل الأثـــــر

وختمها بقوله:

تحرك أبا الهول هذا الزمان ... تـــــحرك ما فيه حتى الحجر

وقال فى الأهرام من قصيدة له سنة ١٩٢٢:

قف ناج أهرام الجلال وناد ... هل من بناتك مجلس أو نـــــاد
تشكو ونفزع فيه بين عيونهم ... إن الأبوة مفـــــــزع الأولاد
ونبثهـــم عبث الهوى بتراثهم ... من كل ملق للهوى بقيـــــــاد
ونبين كيف تفرق الأخوان فى ... وقت البلاء تفرق الأضـــــداد
إن المغالط فى الحقيقة نفسه ... باغ على النفس الضعيفة عـــــاد

****

قل للأعاحيب الثلاث[1] مقالـــة ... مـــــــن هاتف بمكانهن وشاد
لله أنت فما رأيت على الصفـــا ... هذا الجلال ولا على الأوتـــاد
لك كالمعابد روعة قدسيـــة ... وعليك روحانية العبـــــاد
أسست من أحلامهم بقواعـــد ... ورفعت من أخلاقهم بعمـــاد
قم قبل الأحجـــار والأيـــدى التى ... أخـــذت لهـــا عهـــدا من الآباد

---

(١) يشير إلى الأهرام الثلاثة

وخـــذ النبوغ من الكنانـــة إنها مهد الشموس ومسقط الآراد[1]

وقال يشيد بعظمة الأهرام من قصيدته (على قبر نابليون):

قم إلى الأهرام واخشع واطـــرح خيـــلة الصيد وزهو الفاتحين
وتمهل إنما تمشى إلـــــــى حـــرم الدهـــر ومحراب القرون
هو كالصخرة عند القبـــــط أو كالحطيم الطهـــر عند المسلمين
وتسنم منبرا من حجـــــــر لم يكن قبلك حـــظ الخاطبين
وادع أجيالا تولت يسمعـــــوا لك وابعـــث فى الأوالى حاشرين
وأعدها كلمات أربعـــــــا [2] قد احاطت بالقرون الأربعيـــن
قد عرضت الدهر والجيش معـــا غايـــة قصر عنها الفاتحـــون
عظة قومى بها أولـــــــى وإن بعـــد العهد فهل يعتبـــرون؟

---

(١) وقت ارتفاع الشمس

(٢) يقصد الجملة الى قالها بونابرت لجنوده قبل معركة الأهرام عام ١٧٩٨ "أن أربعين قرنا من الزمان تنظر إليكم من فوق قمم هذه الأهرام "

ووضع شوقى نشيدا جميلا للنيل يتغنى به الشباب والمواطنون قال:

النيل العذب هو الكوثر والجنة شاطئه الأخضر
ريان الصفحة والمنظر ما أبهى الخلد وما أنضر

****

البحر الفياض القدس الساقى الناس وما غرسوا
وهو المنوال لما لبسوا والمنعم بالقطن الأنـــور

****

جعل الإحسان له شرعا لم يخل الوادى من مرعى
فترى زرعا يتلو زرعا وهنا يجنى وهنا يبـــذر

****

جار ويرى ليس بجار لأناة فيه ووقـــــار
ينصب كتل منهـــار ويضج فتحسبـه يـــزار
حبشى اللون كجيرتـــه من منبعه وبحيرتـــه
صبغ الشطين بسمرته لونا كالمسك وكالعنبـر

وفى سنة ١٩٢٠ وضع نشيدا وطنيا أقرته اللجنة التى ألفت فى هذا العام لاختيار نشيد وطنى لمصر فقال:

بنى مصر مكانكمو تهيـــــا فهيا مهدوا للملك هيـــــا
خذوا شمس النار له حليـــــا ألم تك تاج أولكم مليـــــا
على الأخلاق خطوا الملك وأبنوا فليس وراءها للعز ركـــن
أليس لكم بوادى النيل عـــدن وكوثرها الذى يجرى شهيـــا

لنا وطن بأنفسنا نقيـــــه وبالدنيا العريضة نفتديه
إذا ما سيلت الأرواح فيه بذلناها كأن لم نعط شيئا

****

لنا الهرم الذى صحب الزمانا ومن حدثانه أخذ الأمانا
ونحن بنو السنا العالى نمانـــا أوائل علموا الأمم الرقيا

****

تطاول عهدهم عزا وفخرا فلما آل للتاريخ ذخـــــرا
نشأنا نشأة فى المجد أخرى جعلنا الحق مظهرها العليا

****

جعلنا مصر ملة ذى الجلال وألفنا الصليب مع الهلال
وأقبلنا كصف من عـــــوال يشد السمهرى السمهريـــا

****

تقوم على البناية محسنينا ونعهد بالتمام إلى بنينا
نموت فداك مصر كما حيينا ويبقى وجهك المفدى حيا

ويذكر توت عنخ آمون وعظمة حضارة عصره بعد أن اكتشفت كنوزه فى (وادى الملوك) فيقول:

درجت على (الكنز) القرون ... وأتت على الدن[1] السنـــــــون
يا ابن الثواقب مـــن (رع) ... وابن الزواهر من (أمـــــون) [2]
نسب عريق فى الضحـــى ... بذ القبائـــل والبطـــــــون
أرايت كيف يئووب مـــــن ... غمر القضـــاء المغرقـــــون
وتدول آثـــــار القـــــرو ... ن على رحى الزمـــن الطحـــون
حب الخلود بنى لكـــــم ... خلقـــا به تتفـــــــــردون
لم يأخذ المتقدمـــــــــو ... ن به ولا المتأخـــــــــرون
حتى تسابقتم إلى الإحســـان ... فيمـــــا تعملـــــــــون
لم تتركوه فى الجليـــــــل ... ولا الحقيـــر من الشئـــــوون
هذا القيـــام فقل لنـــــــــا ... اليوم الأخير متى يكـــــــون؟
البعث غاية زائـــــــــل ... فإن وأنتـــــم خالـــــدون
السبق من عاداتـــــــــكم ... أتـــرى القيامـــة تسبقـــون ؟
أنتم أساطيـــــن الحضـــا ... رة والبنـــــــاة المحسنـــــون
المتقنـــون وإنمـــــــــا ... يجـــزى الخلـــود المتقـــون

---

(١) الدن : باطية الخمر
(٢) رع وأمون من ألهة مصر القديمة

يتغنى بالنيل

نظم هذه القصيدة الرائعة يتغنى فيها بالنيل، فصور الحياة للوادى وأهله، وأبدع فى وصف روعته وجماله وجلاله، ثم انتقل إلى قدماء المصريين ومفاخرهم، وهى القصيدة التى تغنيها أم كلثوم فتزيدها بهاء وجمالا:

من أى عهد فى القرى تتدفـق ... وبأى كف فى المدائن تغـــدق
ومن السماء نزلت أم فجرت من ... عليا الجنان جداولا تترقـــرق
وبأى عين أم بأية مزنـــة ... أم أى طوفان تفيض وتفهـــق
وبأى نول أنت ناسج بـــردة ... للضفتين جديدها لا يخـــلق
تسود ديباجا إذا فارقتهـــا ... فإذا حضرت اخضوضر الإستبرق[1]

أنت الدهور عليك مهدك متـرع ... وحياضك الشرق الشهية دفـــق[2]
تسقى وتطعم لا إناؤك ضائـــق ... بالواردين ولإخوانـــك ينفـــق[3]
والماء تسكبه فيسبك عسجـــدا ... والأرض تغرقها فيحيـا المغـــرق
تعي متابعك العقول ويستـــوى ... متخبط فى علمهـــا ومحقـــق

إلى أن قال:

دين الأوائل فيك ديـــن مروءة ... لم لا يؤله من يقوت ويرزق
لو ان مخلوقا يؤله لم تكـــن ... لسواك مرتبة الألوهـة تخلق
جعلو الهوى لك والوقار عبادة إن ... العبادة خشيـة وتعلـــق

---

(١) الديباج والاستبراق : ثوب الحرير
(٢) دفق : الفرقى
(٣) ينفق : يفنى أو يقل

دانوا ببحر بالمكـارم زاخـــــر عذب المشارع مده لا يلحق
متقيد بعهـوده ووعـــــوده يجرى على سنن الوفاء ويصدق
يتقبل الوادى الحيـــاة كريمـة من راحتيك عميمـة تتدفـــق

إلى أن قال يصف مهرجان وفاء النيل عند قدماء المصريين وكيف كانت "عروس النيل" تقدم قربانا له كل عام:

والمجد عند الغانيـــات رغيبـة يبغى كما يبغى الجمال ويعشـق
إن زوجوك بهـن فهى عقيـدة ومن العقائد ما يلـب ويحمـــق
ما أجمل الإيمـان لولا ضـلـة فى كل دين بالهدايـــة تلصـق
زفـت إلى ملك المـلوك يحثهـا دين ويدفعها هـوى وتشـــوق
ولربما حسـدت عليـك مكانهـا ترب تمسـح بالعروس وتحـدق
مجلـوة فى الفـلك يحدو فلكهـا بالشاطئيـن مزغرد ومصـفـق
فى مهرجان هـزت الدنيـا بـه أعطافها واختال فيـه المشـــرق
فرعون تحـت لوائه وبنـاتـه يجرى بـهن على السفين الزورق
حتى إذا بلغت مواكبهـا المـدى وجرى لغايتـه القضـاء الأسبـق
وكسا سماء المهرجان جـلالـة سيف المنيـة وهو صلـت يبـرق
وتلفتـت فى اليم كـل سفينـة وانثال بالوادى الجمـوع وحدقـوا
ألقـت إليك بنفسهـا ونفيســها وأتتك شيقـة حواهـا شيـــق
خلعـت عليـك حياءها وحياتها أأعـز من هذيـن شئ ينفـــق؟
وإذا تنـاهى الحب واتفق الفدى فالـروح فى باب الضحيـة أليـق

إلى أن قال يذكر النيل وأنه مصدر الحياة والحضارة لمصر والوادى:

أصل الحضارة فى صعيدك ثابت ونباتهـا حسن عليك مخلـق [1]

(١) مخلق : متطبب

ولدت فكنت المهد ثم ترعرعت فأظلها منك الخفى المشفق
ملأت ديارك حكمة مأثورها فى الصخر والبردى الكريم منبق[1]
وبنت بيوت العلم باذخة الذرى يسعى لهن مغرب ومشرق
واستحدثت دينا فكان فضائلا وبناء أخلاق يطول ويشهق[2]
مهد السبيل لكل دين بعده كالمسك رياه بأخرى تفتق
يدعو إلى بر ويرفع صالحا ويعاف ما هو للمروءة مخلق

وقال فى ختامها:

يا نيل أنت بطيب ما نعت (الهدى) وبمدحة (التوراة) أحرى وأخلق
وإليك يهدى الحمد خلق حازهم كنف على مر الدهور مرهق[3]

وإلى جانب هذه الأشعار الوطنية الداعية إلى التطور والتقديم نجد شوقى يهتم بالشباب، ويدعوهم إلى التضحية والفداء من أجل الوطن فيقول:

اليوم نسود بأيدينا ونعيد محاسن ماضينا
ونشيد العز بأيدينا وطن نفديه ويفدينا

****

وطن بالحق نؤيده وبعين الله نشيده
ونحسنه ونزينه بمآثرنا ومساعينا
سر التاريخ وعنصره وسرير الدهر ومنبره
وجنان الخلد وكوثره وكفى الآباء رياحينا

****

نتخذ الشمس له تاجا وضحاها عرشا وهاجا

---

(١) منبق : مصطف
(٢) يشهق : من شهق الجبل ارتفع
(٣) المرهق : كثير غثيان الناس والأضياف

وسماء السؤدد أبـــراجـــــا وكذلك كـــان أولينـــــــــــــا

العصـــر يراكـــم والأمـــــــــم والكرنك يلحـــظ والهـــــــــرم
ابنى الأوطـــان ألا همـــــــــم كبنـــاء الأول يبنينـــــــــــا

****

سعيا أبدا سعيا أبـــــــــــدا لأثبـــــل المجـــــد وللعليـــــا
ولنجعل مصر هى الدنيـــــا ولنجعـــل مصر هى الدنيـــــا

وظل شوقى يتغنى بالوطنية ويترنم بأنغام الحرية حتى آخر نفس فى حياته.

obeikan.com